ملخص مذكرة الماجستير

البعثات العلمية بتلمسان في العهد الزياني

(633-962ه/1235-1554م)

أ/ باللغة العربية:

يعد موضوع البعثات العلمية بتلمسان في العهد الزياني من أبرز المواضيع التاريخية المتعلقة بتاريخ المغرب الأوسط الحضاري في العصر الوسيط **لأنها حققت غايات علمية متعددة الجوانب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية فضلا عن نقل التراث من مكان إلى آخر، و العمل على نقل كنوز الحضارات القديمة كالفارسية و اليونانية. من هذا المنطلق توجهت عناية عدد من الدارسين الذين تناولوا البعثات العلمية بالبحث والدراسة في المشرق و المغرب في شكل بحوث مستقلة أو ضمن دراسات.**

إلا أنه وبالرغم من أهمية تلمسان و الدور الذي قامت به في تاريخ المغرب الإسلامي باعتبارها دار السلطان و الحاضرة العلمية للمغرب الزياني، لم يحظ فيها هذا الموضوع بدراسة مستقلة وعميقة على غرار الحواضر الأخرى، باستثناء بعض المقالات و الرسائل الجامعية و الكتب التي أمكن من خلالها تلمس البعثات العلمية وهي تستحق كلها التنويه، لكنها عالجت الموضوع بصورة عامة في سياق دراسة تاريخ الدولة الزيانية وحضارتها، لذا كانت رغبتي ملحة لاختيار هذا الموضوع، و الولوج إلى مداخله و مكامنه و استجلاء الكثير من الحقائق التاريخية.

إن اختياري موضوع البعثات العلمية بتلمسان في العهد الزياني كإطار تاريخي للبحث تقف وراءه جملة من الإعتبارات و منها:

1- أهمية البعثات العلمية في الحياة السياسية و الثقافية و الاجتماعية في الدولة الزيانية التي عمرت أكثر من ثلاثة قرون، كان للسلاطين فيها دور كبير في تشجيع الحركة العلمية و استمراريتها.

2- عصر الدولة الزيانية كان عصر كثرت فيه البعثات العلمية والرحلات إلى مختلف دول المغرب و المشرق الإسلاميين، و كان لذلك آثار على المسيرة الحضارية المستقبلية.

3- بروز مجموعة كبيرة من العلماء في العهد الزياني في مختلف التخصصات امتلأت بهم كتب التراجم و الطبقات، وكانت دليلا على فعالية البعثات العلمية في تكوين أجيال من العلماء.

4- شيوع عاصمة الدولة الزيانية تلمسان كمركز من مراكز الحضارة العربية الإسلامية في العصر الوسيط، و ما كان لذلك من استقطاب وفود من الطلبة والدارسين إليها، ثم تهافت الكثير من الدول في المغرب و المشرق على العلماء تلمسان للتدريس فيها و المساهمة في إثراء الحياة العلمية بها.

5- أهمية الموضوع، ورغبتي في كتابة تاريخ المغرب الأوسط في الفترة الوسيطية بطريقة ترقى إلى إعادة إحياء دور تلمسان الحضاري في التاريخ الإسلامي.

6- المساهمة في إعطاء صورة واضحة حول دور البعثات العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني و ما كان لها من دور إيجابي على المسيرة الحضارية لأمتنا.

إن الرؤية الإشكالية التي حاولت من خلالها معالجة هذا الموضوع على سعته و اتساع نطاقه يمكنني تلخيصها في جملة التساؤلات التالية:

أولا: هل كانت هناك بعثات علمية ممنهجة قامت بها الدولة الزيانية في إطار ممارستها السلطوية؟ وماهي العلاقة التي كانت تحكم السلطان بالمبعوثين إلى مختلف الدول؟.

ثانيا: ما هي أهم أنواع البعثات العلمية التي شكلت اهتمام العلماء وطبقات المجتمع خلال هذه الفترة؟.

ثالثا: ما هو الدور الذي لعبته البعثات العلمية في تكوين الفرد؟، و ما هي آثارها على تطور الحركة العلمية بتلمسان الزيانية؟.

رابعا: في إطار البعثات العلمية هل يمكن الحديث عن إضافات منحت لحاضرة تلمسان خصوصية بين دول المغرب الإسلامي؟.

اتبعت في دراستي منهجا تاريخيا تحليليا يعتمد على فحص النصوص التاريخية مع المقارنة، والنقد، و الاستنباط، و من أجل توضيح الرؤية، و تدقيق النتائج زودت بحثي بخرائط تعد وثائق تؤكد ما ذكرته بالكلمات و الأحرف.

ومهما يكن الأمر، فلا أريد الحديث عن صعوبة المهمة، وإنما يمكن التعرض إلى مشكلة يعاني منها الباحث المتخصص في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ألا و هي توقف المصادر الزيانية عند التاريخ السياسي لدولة بني زيان وقلة تطرقها إلى الجوانب الحضارية، و هو الأمر الذي دفعنا للتوجه نحو مصادر أخرى غير تاريخية لا تقل عنها أهمية تتمثل في الكتب

الجغرافية و الرحلات، و الكتب الفقهية، التي تطرق فيها أصحابها إلى مواضيع هامة تخص البحث، و الحق يمكن اعتبار هذه المصنفات الفقهية من المصادر الهامة التي ترقى إلى الوثيقة التاريخية شرط أن يتعامل معها الباحث بأدوات منهجية سليمة.

و بفضل المادة التاريخية التي أمكن لي جمعها قمت بدراسة الموضوع و لم شتاته في مقدمة اشتملت على خطة البحث و المنهج الذي سلكته في معالجة هذا الموضوع فصلا تمهيديا من مراحل الدولة الزيانية و ثم قسمت البحث إلى ثلاثة فصول و خاتمة تناول الفصل الأول عوامل تطور الحركة العلمية بتلمسان في العهد الزياني وتطرقت فيه إلى رعاية سلاطين بني زيان للعلم والعلماء و الرحلة إلى طلب العلم والمعرفة و هجرة الأندلسيين إلى تلمسان وحركة المناظرات العلمية ثم عاجت في الفصل الثاني البحث البعثات العلمية بالمغرب الأوسط منذ قيام الرستميين إلى غاية سقوط الدولة الموحدين، و قد تم تقسيم الفصل إلى أربعة محاور رئيسية و هي:

أولا: مفهوم البعثات عن طريق بيان معناها اللغوي و مقارنته بمفهوم الرسول و السفير والرحالة.

ثانيا: العوامل التي ساعدت على نشاط الرحلة في ظل الإسلام من فتوحات ورحلات إدارية.

ثالثا: أنواع الرحلات: من سفرات و رحلة التجارة و الحج والسياحة، و الرحلة في طلب العلم.

رابعا: البعثات العلمية من عهد الرستميين إلى نهاية دولة الموحدين، و هذا المبحث هو نبذة تاريخية عن البعثات التي حدثت بالمغرب الأوسط قبل ظهور الدولة الزيانية.

و حمل الفصل الثالث عنوان. " أنواع البعثات العلمية بتلمسان الزيانية " تناولنا فيه كل نوع من هذه البعثات وكل حسب هدفها أو الغرض الذي أرسلت من أجل تحقيقه فقسمنا هذه البعثات إلى بعثات الحصول على الكتب العلمية والبعثات الاستكشافية و البعثات التفقيهية.

أما الخاتمة، فقد حوصلت فيها النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث و اتبعتها بملاحق لها علاقة بموضوع البحث، و أردفتها بقائمة للمصادر و المراجع.

عرض و تحليل لأهم مصادر و مراجع البحث:

لم يعد تدوين التاريخ مقتصرا على نوع محدد من المصادر، فكلما اتسعت و تنوعت موارد البحث، كلما ازداد العمل ثراءا، و امتلك صاحبه آليات الفهم العميق و الصحيح للحدث التاريخي، وبتالي الوقوف على علل الأحداث و الابتعاد عن المزالق والزلات.

و نظرا لأهمية موضوع البعثات العلمية في تاريخ المغرب الأوسط فإن أي دراسة تمس هذا الموضوع لابد لها من الرجوع إلى أصناف متنوعة من المؤلفات، تأخذ ترتيبها انطلاقا من أهميتها في موضوع الدراسة، و من الجوانب التي يمكن التطرق إليها، و عليه حاولت الوقوف على أهم المصادر و المراجع التي لها علاقة بموضوع البحث على أمل التوفيق في تناول هذا الموضوع.

أفرزت الدراسة جملة من النتائج مكن عرضها على أساس مراحل التحري و البحث و هي:

– أن الدولة الزيانية كانت دولة منفتحة حية، لم تنغلق على نفسها بل تفاعلت حضاريا مع الكثير من الدول الإسلامية التي كانت موجودة في تلك الفترة، و دليلنا على ذلك هو إرسال البعثات من قبل الدولة الزيانية إلى الدول المجاورة لها للبحث عن كنوز المعرفة و الاستفادة منها بما يتلائم و حضارتنا العربية الإسلامية، لقد نجحت البعثات في الحصول على روائع المؤلفات و المصنفات في مختلف مجالات المعرفة، ثم إيصالها إلى المكتبات بتلمسان التي كانت منتشرة بكثرة في العهد الزياني.

– استطاعت البعثات أن تثبت أن إنسان المغرب الأوسط في العهد الزياني كان ذا حضارة راقية، بما يمتلكه من الحكمة و المعرفة و الرقي الأخلاقي و الديني و الإنساني، فقد امتاز أغلب المبعوثون بالفطنة و الذكاء و تحمل المصاعب و قيادة الرحلة.

– تمثل المبعوثون بنقل الكثير من معالم الحضارة الزيانية إلى مختلف الدول الإسلامية، فقد كانت هذه البذرة الأولى للتلاقح الحضاري بين الزيانيين و هذه الدول بما حملته تلك البعثات من جوانب حضارية عديدة منها سياسية، و تجارية و ثقافية، كما أغراض عمرانية.

– ساهمت عدد من البعثات العلمية في توطيد العلاقات الزيانية مع الدول المجاورة رغم طابع الصراع الذي كان موجودا، كما ساهمت في توطيد العلاقات الزيانية العربية الإسلامية– اتصف المبعوثون بالحيوية، و الأسلوب العلمي اللغوي، و بلاغة الكلام أثناء نقلهم للوقائع أو لقاء العلماء، و بذلك أضافوا نكهة و ذوقا في كتابتهم التي نقلوها.

– أن سلاطين بني زيان لعبو دورا هاما في توفير الظروف المناسبة للمبعوثين محاولين من وراء ذلك تغذية الحركة الفكرية بحاضرتهم و جعلها مركزا علميا من بين مراكز حواضر المغرب الإسلامي كفاس و القيروان.

ب/ باللغة الفرنسية:

Les émissions scientifiques a Tlemcen a l époque zianides (633-962 de l'hégire / 1235-1554 grégorien)

Le thème dont traite ce mémoire intitulé Les émissions scientifiques à Tlemcen à l'époque zianides constitue un thème important dans le domaine des études historiques car il rend compte d' une période importante de l'histoire du Maghreb central, qui commence à l'époque zianides et caractérisée par un essor intellectuel et le rayonnement d'une civilisation sans précédent en dépit des circonstances politiques difficiles, notamment les assauts Mérinides et Hafsides de l'extérieur, et les troubles récurrents à l'intérieur des territoires.

Les sultans de l'époque affichèrent un grand intérêt pour les sciences à travers la construction de différents établissements d'enseignement, notamment les mosquées, les medersas et écoles coraniques et les zaouïas, de plus à travers les hommes de sciences dont ils se sont entourés et enfin à travers la prise en charge des étudiants qui affluaient de différentes contrées. Tout cela s'est répercuté positivement sur le mouvement éducatif puisque la région s'est transformée en un pole attractif pour les érudits et étudiants.

Cependant la question **des émissions scientifiques a Tlemcen a l époque zianides** dans l'espace et le temps sus indiqués n'a pas fait l'objet particulier d'études approfondies et ce en dépit de son importance. En effet, les chercheurs l'ont traitée dans le contexte général de l'histoire du Maghreb central médiéval. Cette situation m'a laissé penser qu'il y avait là matière à effort et motivation pour entreprendre une étude exhaustive et approfondie de la question dans le but de rendre compte de la réalité du rôle primordial des savants de Tlemcen dans les pays du monde arabe et chrétienne.

L'intérêt pour ce champ d'étude et le choix de ce thème sont attribuables notamment à mon désir de contribuer à l'écriture de l'histoire du Maghreb central médiéval, dont certains aspects restent méconnus par le fait que l'essentiel des études portent sur l'histoire politique de la région, et ce au détriment de l'aspect intellectuel.
En conséquence nous jugeons judicieux de mettre en corrélation ces deux aspects en montrant l'impact de la volonté politique sur le mouvement scientifique .

En outre, doivent être soulignés le rôle des sultants zianides et la contribution de certaines grandes personnalités scientifiques au Maghreb central, dans l'émergence et le rayonnement d'une civilisation qui a marqué son époque.

Dans pareille étude, la méthode historique est incontournable en puisant ce qui est possible dans les sources et les références pertinentes tout en soumettant les données retenues à la critique et leur authentification grace à la méthode comparative. Ce travail n'est pas sans difficulté puisque l'essentiel des sources historiques ne s'intéressent qu'à l'histoire événementielle politique. Nous avons fait nos sources, des récits de voyageur notamment Description de l'Afrique de Hassan Al Wazzan, le Rihlat El Maghrib d' El Abdri, Rihlat El Kulsadi à Abou Hassan Kulsadi, ainsi que des biographies telles que: El Boustan d'Ibn Meriem, et le Neil El Ibtihadj de Tomboucti, et El Ouafayat de Ibn Kounfound El Kesntini, le Djadouat Eliktibass d'Ahmed Ben Kadi Almaknasi ; des Koutoub El Nawazil tel El miayar d'El Ouancharissi, et des écrits d'histoire générale tel Kitab elIbar de Abdulrahman Ibn Khaldun, le Bougyat el Rouad de Yahya Ibn

Khaldun, le Noudoum Durr et Alaqian de Tennassi, le mousnad el Sahih d'Ibn Marzouq Al-Khatib, le Anis el moutrib d'Ibn Abi Zar-et d'autres.

introduction suivis de trois chapitres et enfin une conclusion. L'introduction renferme le plan, et l'approche adoptée, en sus des indications bibliographiques. **Le premier chapitre, intitulé «les causes du développement scientifique a Tlemcen a l époque zianides** relate les différentes étapes par lesquelles doit pa

La recherche comporte une sser l'apprenant tout le long du cursus de formation, en expliquant le bien-fondé de chaque étape, notamment l'importance du voyage (rihla) dans la quête du savoir qui, souvent, est couronné par l'Ijaza (certification) scientifique.

Le deuxième chapitre intitulé «les émissions scientifiques pendant la période Rustumide a la décadence du royaume des almohades traite, les les **«**les émissions scientifiques dans le Maghreb avant le royaume zianides.

Le troisième chapitre intitulé «modèles des émissions scientifiques scientifique a Tlemcen a l époque zianides ", présente un groupe d'érudits qui se sont consacrés aux sciences de lecture du Coran, à la prédication soulignant les moments les plus important de leur vie et carrières, ainsi que leur contribution au développement de la vie intellectuelle dans le monde arabe.

Ce modeste travail s'achève sur les conclusions suivantes :

- L'émergence de l'éducation au Maghreb central depuis la conquête islamique de la région.
- La situation politique et sécuritaire qui a caractérisé la région au cours de la période historique étudiée n'a pas influé négativement sur le mouvement scientifique vu l'intérêt des sultans pour la culture et la science qu'ils ont encouragées ; certains étaient des hommes de science tels que: Abu Musa Hamou II.

- les émissions scientifiques scientifique a Tlemcen a l'époque zianides ont prouvé que Lhomme du Maghreb central a cette époque et un homme du savoir .

-les sultans zianides ont joué un rôle très important dans la vie culturelle a Tlemcen.
- La contribution des établissements d'enseignement dans le renforcement des liens culturels entre les différentes capitales du Maghreb islamique malgré des relations politiques tendues.

Ce sont là pour l'heure les principales conclusions aux quelles a aboutit ce travail que nous tenterons d'approfondir ultérieurement afin de révéler plus de faits que ne le permet un travail limité dans le temps. Nous espérons modestement avoir contribué à l'écriture de l'histoire médiévale du Maghreb central .